مَوْسُوعَةُ
فَوَائِدِ القُرآن الزكِيَّة

سُورَةُ المسَدِ

أ.د خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة المسد

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة المسد

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ ﴾

تناولت سورة المسد الوعيد الشديد لأبي لهب وزوجته، وهو أحد أعمام الرسول صلى الله عليه وسلم. وكان مستكبراً بماله وولده وجاهه الذي هو فيه، وكان يحسد ابن أخيه محمداً صلى الله عليه وسلم على ما بعثه الله تعالى به من الرسالة، فيؤذيه بأشد العداوة والأذى. فقال الله تعالى معنفاً ومُبعداً له عن رحمته عَزَّ وجل ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ خسرت يدا أبي لهب، ثم عمم وأكد جَلَّ شأنه بتكرار ﴿ تَبَّتْ ﴾ فقال عَزَّ وجل ﴿ وَتَبَّ ﴾ أي: خسر هو كما خسر كسبه وتحصيله من الدنيا للآخرة. فقد خسرت يداه أن تنال خيراً، ثم ازداد التعنيف بأن تكاملت الخسارة له بدلالة ﴿ وَتَبَّ ﴾ قال الفراء رحمه الله تعالى: الأول دعاء. والثاني: خبر. وقيل: ذكر يديه، والمراد نفسه، ولكن هذه عادة العرب يُعَبِّرُون ببعض الشيء عن جمعه[١] فهو من التعبير عن أقوى ما يتكسب به الإنسان وهي اليدان. وهذا جواب ورد من الله تعالى على هذا المطرود من رحمة ربه عَزَّ في علاه.

فقد جمع الرسول صلى الله عليه وسلم قومه لينذرهم، استجابة لقوله تعالى في سورة الشعراء ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ أي: فابدأ بالأقربين. فلما دعاهم وجمعهم عليه الصلاة والسلام، وأخبرهم عن الله تعالى بما يجب عليهم من الدين، قام وقال أبو لهب للرسول عليه الصلاة والسلام: تباً لك سائر اليوم. ألهذا دعوتنا؟ فنزلت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾[٢] مما يبين قوة وشدة عداوته للرسول صلى الله عليه وسلم، فعاقبه الله تعالى بهذا الحكم المهين له في الدنيا والآخرة.

---

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٨/٣١٥-٣١٦)

(٢) البخاري، الجامع الصحيح، برقم (٤٩٧٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٤/٧١٥)

ثم أخبر الله تعالى عن سبب طغيان أبي لهب، مع نفي أن تتحقق له المكاسب من الفوز بشيء من خير الدنيا والآخرة. فقال تعالى ﴿ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾ ما أغنى عنه ماله وولده وجاهه من عذاب الله تعالى، مما يبين ويفيد أن الذي أطغاه أمران: الأول ﴿مَالُهُۥ﴾ وهو شامل لجميع ما عنده من المال والممتلكات. والأمر الثاني الذي أطغاه هو: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾ ليشمل جميع ما كسب، كالأولاد والجاه. قال القرطبي رحمه الله تعالى: ما أغنى عنه ماله وما كسب من جاه. قال مجاهد: من الولد، وولد الرجل من كسبه[١] مما يفيد أنه مهما بلغت مكانة ومال الإنسان ومنزلته بين الناس فإنها لا تنفعه بشيء إن كان عاصياً لله تعالى. وأن قيمة الإنسان ومنزلته عند الله تعالى بالتقوى، كما قال عَزَّ وجل في سورة الحجرات ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فإنما معيار التفاضل بينكم هو بتحصيل التقوى، فكل أنواع التفاخر تذوب وتنصهر أمام التقوى. فأرفعكم وأعلاكم منزلة عند ربكم تبارك وتعالى هو أكثركم خشية لربه سبحانه وتعالى. فتفاضلكم عند الله سبحانه وتعالى بمسار التقوى، ومدى تحققها فيكم، وليس التفاضل بالأنساب والأولاد والأموال والجاه. وهذا تعليل لقوة البديل عن المال والمكتسبات والأنساب إلى قوة معيار التقوى، التي هي الامتثال لله تعالى.

ثم أخبر الله تعالى بمصير ومآل أبي لهب يوم القيامة، فقال الله تعالى ﴿ سَيَصۡلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ سيصطلي بالنار المشتعلة المتأججة، ذات الاتقاد باشتعالها عليه. مما يبين عقوبة كفره، وتعاليه على دين الله تعالى، وما جاءه من الحق، ومعاداته وجرأته على الرسول صلى الله عليه وسلم. فوصفه الله تعالى وقبحه بقبيح أفعاله، والتي يتلوها المؤمنون في كتابه العزيز إلى يوم الساعة. ليبقى نعته ووصفه وتقبيحه مستمراً في الدنيا.

وأضاف الله تعالى إلى أبي لهب امرأته بسبب ما كان من إيذائها للرسول صلى الله عليه وسلم. فقال الله تعالى ﴿ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴾ قال بعضهم: كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة. وقيل: أنها كانت تمشي بالنميمة، وتُعَيِّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر[٢] فجمعت شرور العمل إلى نفسها. فوصفها الله تعالى وقبحها بقبيح أفعالها، التي يتلوها المؤمنون في كتابه العزيز إلى يوم الساعة. ليبقى نعتها ووصفها وتقبيحها مستمر في الدنيا.

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٦٢/٢٠)

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٧١٩/٢٤-٧٢٠)

ثم ذكر الله تعالى من العذاب ما يناسب فعلها وصنيعها. فقال الله تعالى ﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾ في عنقها سلسلة من حديد، تُعَذَّب بها في النار. والجيد: العنق. والمسد في لغة العرب: الحبل إذا كان من ليف. وقيل في الحبل ثلاث دلالات: أحدهما: أنها حبال كانت تكون بمكة، وقال الضحاك: حبل من شجر كانت تحطب به. والدلالة الثانية: أنها قلادة من ودع، قاله قتادة. والدلالة الثالثة: أنه سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعاً، قاله عروة بن الزبير. والمعنى: أن تلك السلسلة قد فُتلت فتلاً محكماً، فهي في عنقها تُعذَّب بها في النار[١] فقد جمعت الدلالات كل ما كان منها في الدنيا من أعمال السوء، وما ستجده في الآخرة من سلاسل العذاب في النار. مما يبين شدة عذاب من مات على كفره، فإنه في عذاب عظيم.

وتعتبر هذه السورة آية إعجاز عظيمة، إذ مات أبو لهب وامرأته كافرين، ليتحقق ما حكم الله تعالى به عليهما. مما يتأكد بهذا الإعجاز تقرير نبوته صلى الله عليه وسلم، وأن هذا القرآن العظيم هو كلام الله تعالى الحق المبين، وأن محمداً رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا ينطق عن الهوى، بل إنه وحي من الله العزيز العليم الحكيم. مما يبين سبق علم الله تعالى بما سيكون عليه العبد قبل أن يكون.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة المسد. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

(١) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٨/٣٢٧-٣٢٨)